

ماذا ينبغي أنه يكونه موقف العالم العربي

إزاء الفلسفة العربية والفلسفة الغربية

للمكنور محمد صليبا

١ - لمحة تاريخية

لما اتسع سلطان العرب في عهد العباسيين ، وانتشرت في الدولة الإسلامية ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، اضطار الخلفاء إلى التنكيل بالملحدين ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على المجوس والديانة . وكان من أثر هذه السياسة أن تشوق العلماء إلى الإطلاع على العلوم الفلسفية التي كانت نافقة الأسواق في بلاد الروم ، فبدأوا بترجمة كتب الحكمة في عهد أبي جعفر المنصور ، ثم جاء المأمون بعد ذلك ، وكانت له في هذه العلوم رغبة شديدة ، فأوفد الرسل إلى بلاد الروم لاستخراج علوم اليونانيين ، ثم حمل المترجمين على نقلها إلى اللغة العربية ، فنقلوا كتب (أفلاطون) و (أرسطو) و (تيوفرسطس) و (جالينوس) و (فرفوروس) و شروح الاسكندر الأفروديسي ، وبعض كتب (أمونيوس) و (نامسطيوس) و (أفلوطين) وغيرها ، كما ترجموا أيضاً بعض الكتب عن السريانية والفارسية والهندية . ويكفي أن ينظر المرء في فهارس الكتب القديمة كـ فهرست ابن النديم أو كشف الظنون للحاج خليفة ليقف على حقيقة هذه الحركة العلمية الواسعة النطاق . فقد بدأت الترجمة بكتاب في الكيمياء أمر بنقله إلى العربية خالد بن يزيد بن معاوية ، وبلغت في عهد المأمون درجة ليس فوقها زيادة لمستزيد . ولم يحض على نقل العلوم الفلسفية إلى اللغة العربية إلا القليل حتى عكف العرب على شرح معانيها والنسج على منوالها ، فابعدوا لأنفسهم فلسفة خاصة مقيدة بمقائدهم الدينية وحاجاتهم الاجتماعية والسياسية ، ثم نقلت هذه الفلسفة إلى الغرب وسيطرت على التفكير الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس عشر . وهكذا مرّ العرب في تاريخ حضارتهم الفكرية بدورين هما دور النقل والإتباع ، ودور الإنتاج والإبداع .

ولم يكن موقف العرب إزاء الفلسفة اليونانية موقف القابل الذي ينقل ما يصل إليه من

العلوم دون أعمال الروية فيه ، بل كان موقفهم إزاءها موقف الناقد الذي ينتق من العلوم ما يفهمه ويحتاج إليه في تفكيره . لذلك نقلوا عن اليونانيين كتب الهندسة والطب والمنطق والطبيعيات والفلسفة وأعرضوا عن أدب اليونان وأشعارهم وأساطيرهم .

وليس أدل على اختيارهم هذا من موقفهم إزاء فلسفة أفلاطون وأرسطو . فقد كان نصيب العلم الأول من النقل أعظم من حظ أفلاطون ، لا لأن كتبه كانت أعظم انتشاراً وأقرب متناولاً لحسب ، بل لأن العرب وجدوا فيها ما يوافق ميولهم ووزعاتهم من الفنون العقلية والقواعد المنطقية . فأخذوا بها أولاً كما هي ، ثم زادوا عليها وعملوا على التوفيق بينها وبين العقائد الدينية ، ونفقت العلوم الفلسفية في العالم العربي على عهد الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد . إلا أن الدولة العربية لما غلبت على أمرها وتسلمت عليها الأتراك والبرابرة ركبت بها ربح العمران ، واضمحلت منها حرية الفكر ، واتهم الفلاسفة في صدق إيمانهم وصحة عقيدتهم وحاربتهم الخاصة والعامة فالغزالي هدم فلسفة ابن سينا واتهم صاحبها بالكفر والزندقة ، وابن رشد نكب في المغرب وأحرقت كتبه ، حتى قال الحاج أبو الحسين بن جبير فيه وفي نكبته .

نفذ القضاء بأخذ كل مموه متفلسف في دينه متردق

بالنطق اشتغلوا فليل حقيقة إن البلاء موكل بالنطق

ولا يزال الناس في أيامنا هذه يطلقون كلمة « فلسفة » على الزندقة والتمويه ، أو على الثروة والكلام الفارغ . وربما كان في قول أبي نواس منذ أوائل العصر العباسي :
فقل لمن يدعى في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

إشارة إلى إبطال الفلسفة واحتقار منتحلها .

نعم إن الفلسفة العربية لم تكن مقصورة على الفلاسفة المشائين ، وإن هنالك طائفة من المتكلمين كالمعتزلة وغيرهم ضربوا في الفلسفة بسهم وافر . ولكن هذه الفرق لم تثبت قواعد الإنتاج الفكري الحر ، ولا وطدت أساسه وأحكمت عقدته إلا برهة وجيزة من الزمان ، فاتبعت طريق الفلسفة المشائية في النمو والاضمحلال . فحينما كانت بضاعة الفلسفة موفورة ، كان علم الكلام نائب الوطائد مشيد الأركان ، ولكن حينما وهت أركان الفلسفة وتضعضت دعائمها انقلبت مباحث علم الكلام إلى اتباع آلى واصطلاحات مدرسية جامدة . ويكفي أن ننظر في كتاب المواقف لمضد الدين الإيجي ونقارن بينه وبين كتب الغزالي وابن سينا للحكم

على تطور الفلسفة العربية . ففي كتاب المواقف علم مقيد واصطلاحات فنية جامدة وقواعد وأحكام ثابتة تريد أن تظهر بمظهر العلم المطلق ، وتتصف بصفة الحقائق الخالدة . وفي كتب الغزالي إلى جانب الضبط والإحكام لطف وروعة يفوح منهما عبر الحرية وشذا العاطفة والإبداع . ومن أراد الاطلاع على الفلسفة العربية الحقيقية ، فليطلبها من كتب ابن سينا والغزالي وابن رشد لا من كتاب المواقف .

إن هذه اللمحة التاريخية السريعة توضح لنا الطريق الذي يجب علينا سلوكه في تحديد موقفنا من الفلسفة العربية والفلسفة الغربية .

٢ — موقفنا إزاء الفلسفة العربية

ماذا ينبغي أن يكون موقفنا إزاء الفلسفة العربية القديمة . هل يجب علينا الأخذ بها كما هي ، أم ينبغي لنا الإعراض عنها والاتجاه نحو الفلسفة الغربية الحديثة ؟

لا شك أن الإعراض عن الفلسفة العربية ليس في مقدورنا . لأن هذه الفلسفة قد داخلت نفوسنا وصبغت أفكارنا وعواطفنا . وهي فلسفة عقلية — توحيدية — روحانية معاً . ومن مبادئها الأساسية أن الحقيقة الدينية لا تختلف عن الحقيقة الفلسفية ، وأن الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضية ، ومن نظر في آراء فلاسفة العرب من الفارابي إلى ابن سينا ومن ابن سينا إلى ابن رشد وجد أن التوفيق بين الحكمة والشريعة كان همهم الأول ، حتى أن التأخرين من علمائنا كالأستاذ الإمام محمد عبده لم يخرجوا عن هذا المبدأ في تفسير آيات القرآن الكريم . وجميع ما جاء في الشريعة متفق عندهم مع ما يكشف عنه النظر العقلي : المقول المطابق للمقول ، ولا فرق بين حقيقة وأخرى .

ولا شك أيضاً في أن الأخذ بالفلسفة العربية كما هي لا يتفق مع ما بلغه العلم الحديث من الرق والكمال . ففي الفلسفة العربية أمور كثيرة لا تصلح لتوجيه سلوكنا في المجتمع الحديث : انظر إلى نظرية الفيض التي تخيلها فلاسفة العرب للتوفيق بين الدين والفلسفة . إن هذه النظرية مستندة إلى اعتقادهم أن الأرض هي مركز العالم ، وأن الأفلاك طبقات مختلفة تحيط بالأرض كما تحيط القشرة بالبيضة . ثم انظر إلى نظرية النفس أو نظرية العقل أو نظرية الطبيعة ، إنها مبنية على آراء لا يؤيدها العلم الحديث . إذن لا ينبغي لنا الأخذ بالفلسفة العربية كما هي ، وإنما يجب علينا أن نتناولها بالبحث كما تدرس سائر الاتجاهات الفكرية القديمة

لا للاعتماد عليها في توجيه سلوكنا ولكن لاستكمال ثقافتنا الفكرية واطلاعنا على ماضينا وتعرفنا أنفسنا .

فإذا شئنا أن نكون لنا فلسفة عربية حديثة تأتلف وميولنا وحاجتنا الحاضرة ، وجب علينا أولاً دراسة الفلسفة العربية القديمة التي فقدت آثارها دراسة علمية توطن الارتباط بين اتجاهاتنا الفكرية الحديثة وعقربتنا القديمة . إن الحاضر كما قال (لينين) مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل . والأم التي ليس لها ماضٍ ليس لها شخصية كاملة ، ومن أعرض عن دراسة الماضى حرم الاطلاع على أجمل آثار الفكر التي خلفها الأجداد . على أن هذا الالتفات إلى الماضي يجب أن يكون باعثاً على الحركة دون الوقوف ، وعلى التقدم دون الركود . إن كثيرين من الشيوخ الذين يعيشون في الماضي يعجزون عن تفهم الحاضر ومجاراة تطوره ، حتى أن إعجابهم بماضيهم ليلهمهم عن كل مكرمة وبحول بينهم وبين فتح طريق المستقبل . لذلك كله ينبغي أن يكون موقفنا إزاء الفلسفة العربية موقفاً علمياً محضاً . ونعني بهذا الموقف العلمى أن تاريخ الأفكار يجب أن يطلب لذاته لا لمبره وكنوزه . ومتى طلب التاريخ لذاته انكشف هو نفسه عن كثير من العناصر التي توحى إلينا بالأفكار الجديدة ، وتكشف لنا عن كثير من الحلول التي نروم الوصول إليها .

هناك أمران يحددان لنا الموقف العلمى ، الأول : هو التعريف بالفلسفة العربية ، والثانى : هو نقدها وتحليلها .

١ - فالعرب لا يزالون حتى الآن جاهلين بكثير من مسائل الفلسفة العربية . وربما كان بعض المستشرقين أحسن إحاطة بهذه المسائل من بعض علمائنا المعاصرين . إن فلسفة الكندى والفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد لا تزال محاطة بكثير من الغموض ، كما أن فلسفة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم لا تزال مستورة غداً بحجاب كثيف ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن كثيراً من الكتب الفلسفية القديمة لم تصل إلينا حتى أصبحنا لا نعرف منها إلا أسماءها ، كما أن كثيراً من المخطوطات لا تزال محفوظة في خزائن الكتب الخاصة لم يطلع عليها إلا القليل من الناس . وليس من مصلحتنا الفكرية أن تبقى هذه الكتب مخزونة في الصناديق في وقت نحن أحوج الأمم فيه إلى التعريف بماضينا . فينبغى لنا إذن إحصاء المخطوطات الفلسفية العربية الموجودة في بلدان الشرق والغرب ، والعمل على تحقيقها ونشرها ، ثم إعادة طبع الكتب الفلسفية المنشورة سابقاً لاشتغالها على كثير من الأغلط . فبعضها لم يطبع حتى الآن إلا على الحجر ، وبعضها الآخر طبع للتجارة لا للعلم والتحقيق . وبدهى أن

إحياء النصوص الفلسفية يجب أن يشمل كتب الفلسفة أولاً ، ثم كتب العقائد والنصوص ثانياً ، ففي كتب العقائد كثير من الفلسفة ، كما أن في كتب التصوف والأخلاق نزعات فلسفية أصلية لا يليق بنا إهمالها .

٢ — والأمر الثاني الذي يحدد لنا هذا الموقف العلمى هو وضع دراسات تحليلية عن فلاسفة العرب نشرح فيها فلسفتهم وننتقدها ، ثم نبين منابعها ومدى تأثيرها في الحضارة الشرقية والحضارة الغربية . ولا نغالى إذا قلنا إن هذه الدراسات هي الوسيلة الوحيدة لتعريف العرب بحضارة العرب . وكما يتقدم التحليل على التركيب في ارتقاء العلوم الوضعية ، فلذلك يجب أن تتقدم الدراسات التحليلية الخاصة على النظرات التركيبية العامة في تاريخ الفكر . إن مؤرخى الأفكار الذين يبدؤون بالتركيب قبل التحليل يشبهون الروائيين الذين يؤلفون الوقائع الخيالية من مواد أولية وهمية . فقد يبعدهم هذا البناء الوهمى عن معرفة الحقائق وقد يقلب التاريخ إلى أسطورة كاذبة . فإذا أردنا أن نطلع على حقيقة الفلسفة العربية وجب علينا أولاً تقديم التحليل على التركيب . وفي تاريخ العلوم آيات ناطقة تدل كلها على أن العلماء لا يصلون إلى المرحلة الوضعية إلا بعد عكوفهم على تحليل العناصر وإعراضهم عن حل المسائل الكبرى حلاً تركيبياً سريعاً . فالرياضى والفلكى والفيزيائى والكيميائى وعلماء الحياة والنفس والتاريخ يحددون في مرحلة التحليل هذه دائرة بحثهم ، وينصرف كل واحد منهم إلى موضوع خاص أو إلى ناحية واحدة من موضوع خاص ، ثم إنهم إذا تم لهم هذا التحليل انتقلوا إلى مرحلة التركيب وكشفوا عن الخطوط العامة المشتملة على تحليل العناصر وتوضيحها ، لذلك كان من الصعب جداً على الباحثين في تاريخ الفلسفة العربية وضع تاريخ جامع لتطور الفكر العربى قبل القيام بدراسة النصوص وتحليل العناصر وتحديد الاتجاهات الفكرية الخاصة ، التى تميز بها كل فيلسوف من غيره . وأنى لنا أن نضع هذا التاريخ الجامع إذا نحن لم نبدأ بتحليل العناصر ، ولم نكشف عن الاتجاهات الفكرية المختلفة ، ولم نؤلف منها منظومات عامة تقرب بين الأفكار المتشابهة وتجمعها كلها في تيار واحد .

وقصارى القول أن موقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب أن يكون موقفاً علمياً محضاً غايته التعريف بها ونقدها وتحليلها ، لا الأخذ بها كما هي والنسج على منوالها ، فإن لكل زمان فلسفة موافقة لبعيته الاجتماعية وحالته العلمية وتطوره الفكرى . ومن أراد أن تكون له في القرن العشرين فلسفة القرون الوسطى كان كمن يعيش إلى الأمام مشية القهقري .

٣ — موقفنا إزاء الفلسفة الغربية

إن هذه الملاحظات السريعة كافية لتحديد موقفنا إزاء الفلسفة الغربية أيضاً . فكما أن تجديد الفلسفة العربية القديمة لا يغنينا عن الأخذ بأسباب الفلسفة الحديثة ، كذلك الأخذ بالفلسفة الغربية كما هي لا يهديننا سبيل الرشاد في مجتمع حائر بين روحانية العقل ومادية العلم ، فإذا شئنا أن نهتدي في ظلمات الفلسفة الحديثة وجب علينا أولاً التعريف بها ، ثم نقدها وتحليلها .

١ — ينبغى لنا أولاً ترجمة الكتب الأساسية من الفلسفة اليونانية القديمة كـفلسفة أفلاطون وأرسطو . فإن الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية مبهمة كثيرة التعقيد ، لا يتوصل القارئ إلى ما فيها من المعاني العميقة إلا بعد قراءتها عدة مرات . فقد حكى عن الفارابي أنه قرأ كتاب النفس لأرسطو مائتي مرة ، وذكر ابن سينا عن نفسه أنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة أربعين مرة من غير أن يفهم ما فيه . ومن نظر إلى كتاب (فاطيفورياس) الذي ترجمه حنين بن إسحق وجد فيه من الغموض وركاكة الأسلوب ما يدعو إلى قراءته عشرات المرات . كل ذلك يهيب بنا إلى ترجمة هذه الكتب من لغتها الأصلية بأسلوب عربي واضح لا كما فعل بعض المعاصرين الذين نقلوا كتب أرسطو عن اللغة الفرنسية ، وليس في تجديد هذه الترجمة مضيعة للوقت ، إذ أن أكثرها قد فقد ، والموجود منها يكتنفه الغموض والالتباس . ومن تذكر أن التفكير الأوروبي في أواخر القرن الخامس عشر قد استند إلى الفلسفة اليونانية في نهضته الحديثة أدرك ما لتعريب كتب اليونانيين من عميق الأثر في إحياء فلسفتنا العربية القديمة من جهة ، وفي تفهم الفلسفة الغربية من جهة أخرى . فالفلسفة اليونانية لا تزال حتى اليوم معجزة المعجزات ، تجد فيها أصولاً لجميع المذاهب من (لينين) إلى (نيتشه) ومن (ديكرت) إلى (كانت) . ومن أراد أن يكون له في الفلسفة أقل أثر فما عليه أولاً إلا أن يروى من معين الفلسفة اليونانية .

٢ — وينبغي لنا ثانياً أن نترجم أمهات الكتب الفلسفية من اللغات الأوروبية الحديثة كـكتب (لوك) و (ديكرت) و (لينين) ، و (اسبينوزا) ، و (هيوم) و (كانت) ، و (هيجل) ، و (شوبنهاور) ، و (سبنسر) ، و (نيتشه) ، و (برغسون) ، وغيرهم . والترجمة ضرورية لنا في أوائل الأمر أكثر من الدراسات التحليلية التي يقوم بها بعضهم ، إذ أن فائدة هذه الدراسات مقصورة على التعريف بالفلاسفة الغربيين ، وهي لا تظلمك على

أفكارهم إلا من وواء حجاب ، وإذا فهمت ما كتبه أصحابها لم تجد في آرائهم ما يرفعك إلى فضاء الفكر . ويوحى إليك بالمعاني الجديدة والآفاق الواسعة . ومن شروط هذه الترجمة أن تنقل الكتب عن اللغة الأصلية التي كتبت بها ، لأنها إذا نقلت عن لغة ثانية كان ذلك باعثاً على غموض الأفكار وابتعادها عن الضبط . دع أن المترجم لا يحسنون الاختيار دائماً ، فيترجمون ما يصل إليهم من الكتب على غير هدى ، من غير أن يكون لها قيمة حقيقية . مثال ذلك أن بعض قراء العربية كانوا إلى عهد قريب يظنون أن (غوستاف لوبون) هو أعظم فلاسفة الغرب . والسبب في ذلك يرجع إلى أن بعض الأسانذة نقل كتبه إلى اللغة العربية . لاشك في أن (غوستاف لوبون) قد شارك في علوم كثيرة ، إلا أنه لم يتعمق في أى علم من العلوم تعمق رجال الاختصاص . فهو قد كتب في علم الاجتماع ، ولكنه لم يكن عالماً اجتماعياً كدورتهايم ولفي برل ، وقد كتب في نظريات الفيزياء ، ولكنه لم يكن عالماً فيزيائياً كجان بران ، وطومسون ، وكتب في التربية والأخلاق ، ولكنه لم يبلغ في ذلك ما بلغه (جيمس) و (دوى) و (كلاباريد) . فن الضروري إذن أن يوضع برنامج خاص لترجمة أمهات الكتب خلال مدة محدودة من الزمان ، تتولى اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية الإشراف عليه ، ثم توزع العمل على الاختصاصيين في مختلف الدول العربية لتنفيذه وإنجازه . وينبغي لنا في الوقت نفسه العمل على وضع دراسات علمية عن اتجاهات الفكر الغربي ، وتحليل آراء الفلاسفة الغربيين ونقدها ، ثم المقارنة بينها وبين بعض الآراء التي نجدتها عند فلاسفتنا القدماء .

وقد يقال إن في العالم الغربي أنواعاً من الفلسفة لا تأتلف وعبقريّة الأمة العربية ، وإن نقل هذه المذاهب إلى لغتنا قد يؤدي إلى استهواء الكثير من الناس ، وإدخال الفوضى على العقائد الموروثة ، فنقول رداً على ذلك إن نقل هذه المذاهب لا يؤدي بالضرورة إلى اتباعها . ففي الفلسفة الغربية مذاهب روحانية ومذاهب مادية ، كما أن فيها مذاهب خيالية ومذاهب وجودية . وهي تنهافت ويهدم بعضها بعضاً ، كما تتساند وتعاون . فإذا ترجمت كلها معاً استطاع القارئ العربي أن يقارن بينها ، وأن يكون لنفسه بعد ذلك رأياً شخصياً . وربما كان لنقل هذه المذاهب المختلفة أثر عميق في تربية حرية الفكر . لقد تعود مفكرون أن يقيدوا آراءهم الفلسفية بالعقائد الموروثة والتقاليد الاجتماعية المعروفة ، وإذا خرجوا على هذه التقاليد أناروا حولهم موجة من السخط والاستنكار ، إن الإبداع الفلسفي شبيه بالإبداع الفني . لا ينمو إلا حيث تزداد حرية الفكر . ومتى خضع للقيود الاجتماعية والسياسية انقلب إلى

تقليد محض واتباع آلى . أضف إلى ذلك أن الفلسفة الغربية ليست مضادة لمعبريتنا ، فهي قد تولدت من الفلسفة اليونانية كفلسفتنا القديمة ، كما أن فلسفتنا القديمة قد أثرت في التفكير الغربى نفسه . إن القديس (توما الأماكونى) و (روحيه باكون) و (غيوم دوفرى) قد أخذوا كثيرا عن ابن سينا وابن رشد ، حتى إن إعجاب (غيوم دوفرى) بهما كان لا يقل عن إعجابه بأرسطو . فليس بيننا وبين الغربيين في هذه الناحية إلا فرق واحد ، وهو أن الفلسفة الغربية قد اضمحلت من العالم العربى إلا قليلا من رسومها نجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء الدين ، أما الغرب فقد عرف الفلسفة اليونانية أولا عن طريق الفلسفة العربية ، ثم عرفها ثانيا بصورة مباشرة ، وبقيت الفلسفة هناك نافذة الأسواق متعددة الرسوم حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن من الإبداع والكمال . فليس في الفلسفة الأوروبية إذن ما يخالف عبقرية الشعب العربى وميوله . بل إن تكامل الفكر العربى يقتضى اقتباس الفلسفة الأوروبية وربطها بالأصول اليونانية القديمة التى حفظناها . ومتى تم لنا هذا الاقتباس استطعنا أن نجد تفكيرنا وأن نبذل لأنفسنا فلسفة عربية حديثة .

وقصارى القول أنه ينبغى أن يكون موقفنا إزاء الفلسفة الغربية ، كما كان موقف أجدادنا إزاء الفلسفة اليونانية . وهو موقف إيجابى يسعى إلى ترجمة الفلسفة الغربية ونقلها والأخذ بكثير من مسائلها ، ثم تأليف عناصرها في قوالب عربية ، مستوحاة من ماضى الأمة وحاضرها .

٤ — موقفنا إزاء الفلسفة بصورة عامة

لا بد أن نشير في آخر هذا المقال إلى أنه ينبغى لنا في كل ذلك أن نتجنب التقليد المحض . إن مجلاتنا الشهرية طافحة بالمقالات الفلسفية ، كما أن دور النشر تصدر في كل شهر كتابا فلسفيا موضوعا أو مترجما . إلا أن هذه الزيادة في الإنتاج لا تدل على إنتاج حقيقى وإنما هى زيادة وهمية مبنية على التقليد المحض . لقد أصبح البحث في الأمور الفلسفية عندنا زيا من الأزياء لا أكثر ولا أقل . وقلما وجدت كتابا لم يكن له في هذا الحقل باب واسع وهذه الظاهرة تدل على أن القارئ العربى يرغب اليوم في مطالعة المواضيع الفلسفية بالرغم من اضمحلال الفلسفة العربية وزوال رسومها من دهرنا . ولكن معاجة هذه المواضيع لا تنمى الآن تطور التقليد الأسمى . إننا نقتل الغربيين في كل شيء ، نقتلهم في الأزياء كما نقتلهم في الأفكار والمواطف . نعم قد يكون التقليد ضروريا في المرحلة الأولى من حياة

الفكر . إلا أنه إذا طال أفقد الفكر روعته وعبقريته . فإذا شئنا أن تكون لنا فلسفة عربية مستمدة من الفلسفة العربية القديمة والفلسفة الغربية الحديثة مما وجب علينا أولاً أن نتجنب التقليد الأعمى ، وأن نسمو إلى بفاع الاستبصار والإبداع ، وهذا لا يمنع من أن يكون في العالم العربي فلاسفة مقلدون يذهبون إلى ما ذهب إليه ابن رشد في وحدة العقل ، أو يقولون بما قاله ابن خلدون من إبطال علم ما بعد الطبيعة ، أو يعتنقون مذهب (كانت) أو (أغوست كومت) أو (سبنسر) في نظرية المعرفة ، إلا أنه ينبغي أن يوجد إلى جانب هؤلاء التابعين فلاسفة آخرون مبدعون يقتبسون العناصر من هنا وهناك ويصوغونها في قوالب جديدة . والشرط اللازم لهذا الإبداع هو في نظرنا فك الفلسفة من عقائدها وإطلاق حريتها وتجربتها من القيود التقليدية والضغط الاجتماعي . وليس في حرية التفلسف أى خطر على الدين ، لأن الإيمان أقوى من أن يتصدع بمعاول العقل . لا بل قد يكون في هفوات العقل تأييد له ورجوع إليه . وما الفلاسفة إلا شعراء يصوغون مادة العلم في قوالب العقل ، كما ينسج الشعراء من صور الطبيعة رموزاً ومجازات ، فإذا نظرنا إلى الفلسفة بهذه النظرة الفنية ، أمكننا أن نحلها دار الأمان ، وأن نتغاضى عن المتفلسفين كما نتغاضى اليوم عن الشعراء .

همبل صليباً